

مختصر ابن كثير

- 267 - يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن إهلاكه غني حميد .
- 268 - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وإن بعدكم مغفرة منه وفضلا وإن واسع عليم .
- 269 - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب .

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة ه هنا من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها يعني التجارة بتيسيره إياها لهم وقال علي والسدي : { من طيبات ما كسبتم } يعني الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فإن إهلاك طيب لا يقبل إلا طيباً ولهذا قال : { ولا تيمموا الخبيث } أي تقدموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه } : أي لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تنفاصوا فيه فإنه أغنى منكم فلا تجعلوا إهلاك ما تكرهون وقيل معناه : لا تعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه . وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن إهلاككم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن إهلاككم يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه إهلاك الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه - قالوا : وما بوائقه يا نبي الله ؟ قال : غشه وظلمه - ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن إهلاككم لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث " (رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً) قال ابن كثير : وال الصحيح القول الأول .

قال ابن جرير : عن البراء بن عازب روى في قول الله : { يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم } الآية قال نزلت في الأنصار كات الأنصار إذا كانت أيام جذاد النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى كل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقنانه البسر يظن أن ذلك جائز فأنزل الله فيمن فعل ذلك : { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } (أخرجه ابن ماجة والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين) وقال ابن أبي حاتم : عن البراء روى { ولا تيمموا

الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه } قال : نزلت فينا كنا أصحاب نخل
فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فإذا أتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد وكان
أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاءه ضربه بعصا فسقط منه البسر والتمر
فيأكل وكان أناساً من لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيش فيأتي بالقنو قد
انكسر فيعلقه فنزلت : { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه }
قال : لو أن أحدكم أهدى له مثل ما أعطى ما أخذ إلا على إغماض وحياة فكنا بعد ذلك يجيء
الرجل منا بصالح ما عنده (رواه ابن أبي حاتم والترمذى وقال الترمذى : حسن غريب) .
وعن عبد الله بن مغفل في هذه الآية { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } قال : (كسب المسلم
لا يكون خبيثاً ولكن لا يصدق بالحشف والدرهم الزييف وما لا خير فيه) (رواه ابن أبي حاتم
عن عبد الله بن مغفل) وقال الإمام أحمد عن عائشة قالت : أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت : يا رسول الله نطعمه المساكين ؟ قال : " لا تطعموهم مما
لا تأكلون " . وعن البراء { ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه } يقول : لو كان لرجل على
رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه ؟ (رواه ابن جرير عن البراء بن
عاذب) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : { ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه } يقول :
لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه فكيف
ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم وتحق عليهم من أطيب أموالكم وأنفسه ؟ .

وقوله تعالى : { واعلموا أن الله غني حميد } أي وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها فهو
غني عنها وما ذاك إلا أن يساوي الغني الفقير كقوله : { لن ينال الله لحومها ولا دماءها
ولكن يناله التقوى منكم } وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه . وهو واسع
الفضل لا ينفد ما لديه فمن تصدق بصدقه من كسب طيب فليعلم أن الله غني واسع العطاء كريم
جواد وسيجزيه بها ويصاغرها له أضعافاً كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد : أي
المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله تعالى : { الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه وفضلا
والله واسع عليم } قال ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتذميم
بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد
الله ومن وجد الأخرى فليتعود من الشيطان " ثمقرأ : { الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه وفضلا } (رواه ابن أبي حاتم والترمذى والنمسائي وابن حبان
 الآية . ومعنى قوله تعالى : { الشيطان يعدكم الفقر } أي يخوكم الفقر لتمسكوا ما
بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله } { ويأمركم بالفحشاء } : أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق

خشية الإملأق يا مركم بالمعاصي والماثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى : { واله يعدكم مغفرة منه } أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء { وفضلا } أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر { وام واسع عليم } .

وقوله تعالى : { يؤتي الحكمة من يشاء } قال ابن عباس : يعني المعرفة بالقرآن ناسخة ومنسوبة ومحكمه ومتشا بهه ومقدمه ومؤخرة وحاله وحرامه وأمثاله . وقال مجاهد : { الحكمة } ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية : الحكمة خشية الله فإن خشية الله رأس كل حكمة وقد روى ابن مardonie عن ابن مسعود مرفوعا : " رأس الحكم مخافة الله " وقال أبو مالك : الحكمة السنة . وقال زيد بن أسلم : الحكمة العقل . قال مالك : وإنه ليقع في قلبي أن الحكم هو الفقه في دين الله وأمر يدخله في القلوب من رحمته وفضله وما يبين ذلك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتى به إيمان ويحرمه هذا فالحكمة : الفقه في دين الله . وقال السدي : الحكمة النبوة . وال الصحيح أن الحكم لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الأحاديث : " من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه " (رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن عبد الله بن عمر) وقال صلى الله عليه وسلم : " لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها " (رواه البخاري ومسلم والنمسائي) .

وقوله تعالى : { وما يذكر إلا أولو الألباب } أي وما ينتفع بالموعظة والتذكرة إلا من له لب وعقل يعي به الخطاب ومعنى الكلام